الهوية الوطنية في خطب واحاديث عبد الكريم قاسم (١٩٥٨-١٩٦٣)

م. د. غصون مزهر حسين
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
قسم الدراسات التاريخية
Dr.ghsoon_Mezher@yahoo.com

تاريخ التقديم: ٢٢٢ في ٢٠١٧/٥/٢٤
تاريخ القبول: ٤٤٩ في ٢٠١٧/٨/٧

الملخص:

نتناول في هذا البحث الهوية الوطنية في افكار عبد الكريم قاسم والتي ابرزها وأكد عليها من خلال خطبه واحاديثه التي القاها في مختلف المناسبات ، فالهوية الوطنية تعني الانتظام العام في المجتمع وفق مبدأ اخلاقي ضمن نسيج مجتمعي متماسك ، كما تعني الوعي " الذي يجب أن نربي عليه اولادنا في حب الوطن والاخلاص له والتضحية في سبيله " كما يؤكد على ذلك عبد الكريم قاسم ، طبع عبد الكريم قاسم سياسة حكومة الثورة بطابعه الخاص، وبالقيم والمبادئ التي كان يؤمن بها ويسعى الى تحقيقها ، فكانت مبادئه السياسية واضحة اساسية اعتنقها وأستخلصها من حاجة الناس ومعاناتهم ، وقد كانت تلك المبادئ تدور على ألسنة الكتل والاحزاب السياسية والافراد والشخصيات الواعية ، يرددونها في مجالسهم ويتحدثون بها في كل مناسبة متاحة للتعبير عن آرائهم ، ولم تكن هذه المبادئ تستند بالضرورة ، الى فلسفة سياسية أو افكار استوعبتها النشرات والكتب السياسية ، بل جسدها الواقع وتطلعات الجماهير لتحقيقها .

الكلمات المفتاحية: (العراق – عبدالكريم قاسم – الهوية الوطنية – الجمهورية)

National Identity in speeches and conversations of Abdul Karim Qasim (1958-1963)

Dr.Ghsoon Mazhar Hussain
Dr.ghsoon_Mezher@yahoo.com

Abstract:

In this research, we address the national identity in the ideas of Abdel-Kareem Qassem, which he emphasized and emphasized through his speeches and speeches on various occasions. National identity means public order in society according to a moral principle within a cohesive community fabric, as well as awareness of " In the love of the homeland and loyalty to him and sacrifice in his way, "as emphasized by Abdul KarimQassem, Abdul KarimQassim printed the policy of the Government of the revolution in its own character, values and principles that he believed in and seeks to achieve, his political principles were clear fundamental embraced and derived from the need of people and their suffering, It has been t The principles are on the tongues of political blocs, parties, individuals and conscious figures, echoing them in their councils and speaking to them on every occasion to express their opinions. These principles were not necessarily based on political philosophy or ideas absorbed by political bulletins and books.

المقدمة:

هناك شخصيات يتماهى وجودها التاريخي مع الذاكرة الوجدانية ، تماماً بالقدر الذي يجري استعادتها بوصفها قوة سياسية حية وفاعلة ، وهي حالة تشير الى قيمة الاحياء والاموات في الحياة السياسية ، شأن كل ما هو قابل للتطويع والاستعمال في الصراع الاجتماعي لكنها قيمة محكومة بما فيها من قدرة على التجدد أو التفاعل مع المزاج الاجتماعي وهموم الافراد والجماعات، ومن ثم فإن قيمتها على قدر ما في افعالها التاريخية من أثر في العقل والضمير الجمعي، وبالأخص زمن الانعطافات الحادة في تاريخ الدولة والامة ، وهي الحالة التي يمكن رؤية ملامحها بوضوح في ظروف العراق ، في شخصية مثل عبد الكريم قاسم ، والذي أصبح معلماً في الوعي الاجتماعي العراقي وخاصة منذ مساهماته الاولى في حركة الضباط الاحرار ، التي برزت في الساحة السياسية نتيجة عوامل موضوعية وذاتية للبلد والمؤسسة العسكرية ببعدها التاريخي ، وقد تبلور تاريخه منذ قيادته لفعل التغيير الجذري بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وأنهاء العهد الملكي وإعلان الجمهورية .

نتناول في البحث الهوية الوطنية في افكار عبد الكريم قاسم والتي ابرزها وأكد عليها من خلال خطبه واحاديثه التي القاها في مختلف المناسبات ، فالهوية الوطنية تعني الانتظام العام في المجتمع وفق مبدأ اخلاقي ضمن نسيج مجتمعي متماسك ، كما تعني الوعي " الذي يجب أن نربي عليه اولادنا في حب الوطن والاخلاص له والتضحية في سبيله " كما أكد ذلك عبد الكريم قاسم.

معنى الهوية الوطنية:

مفهوم الهوية الوطنية في كل امة هي الخصائص والسمات التي تتميز بها ، وتترجم روح الانتماء لدى ابنائها ، ولها اهميتها في رفع شأن الامم وتقدمها وازدهارها ، وبدونها تفقد الامم معاني وجودها واستقرارها ، بل يستوي وجودها من عدمه ، وهناك عناصر للهوية الوطنية لابد من توفرها ، وقد يختلف بعضها من أمة لأخرى ، من عناصر الهوية الوطنية الموقع الجغرافي ، حيث أن من يشتركون فيها يضمهم موقع جغرافي محدد ، التاريخ وهو التاريخ المشترك الذي يربط من يشتركون في الهوية الوطنية الواحدة ، ويمثل الاحداث التي مرت بأبائهم وأجدادهم بصفتهم الجماعية ، الاقتصاد كذلك رباط اقتصادي واحد ونظام مالي واحد ، العلم الواحد ، وهو الرمز المعنوي الذي يجمع ابناء الشعب الواحد والقضية الواحدة وهو شيء مادي ملموس له رسم وشكل محدد بألوان محددة ولكنه يرمز الى قيمة معنوية وهي الهوية الوطنية والانتماء للوطن .

وتعني الهوية الوطنية مجموعة الافكار المبنية حول مفهوم الامة المتعدد الجوانب و الطرق التي ارتبط بها الافراد والجماعات انفسهم بتلك الافكار ، الهوية الوطنية هي مجموعة من القيم والاخلاق يجب أن تنعكس افعالاً بما تعنيه من استقرار في الوطن والدفاع عنه والتقيد بنظمه واحترام قوانينه ، وتعني الانتظام العام في المجتمع وفق مبدأ اخلاقي ضمن نسيج مجتمعي متماسك ، قائم على

التعاون والمحبة واحترام العادات والتقاليد والاسرة والبيئة والتمسك بالقيم الدينية السائدة واحترام الرأي الاخر ومعتقده ووجهة نظره أن لم تمس القيم والنظام العام وسيادة الوطن .

لذا يبدو أن الهوية الاجتماعية تتجلى بأوسع تجلياتها ضمن مفهوم "الهوية الوطنية" وتعتمد الهوية الوطنية على بناء سياسي يدعى "**الدولة**" ، حيث يفرض على مواطني تلك الدولة حمل هويتها الوطنية ، وللتاريخ اهمية حاسمة في تأسيس الهوية الوطنية فالتاريخ بذكرياته واحداثه وانتصاراته وهزائمه وحربه وسلمه ، يرتبط بشكل وثيق بخلق تلك الاحاسيس والمشاعر والوعي المشترك لدى "أمة" ما ، مما يعني أن تلك الجماعة من الناس مهيأة لامتلاك هويتها الوطنية ، والبعد التاريخي للهوية الوطنية هو ذلك الشعور بالدين للأجيال الماضية والمسؤولية تجاه الاجيال المقبلة ، أي اشتراك الاجيال في تحمل اعباء المسؤولية ، والتي نعني بها مسؤولية الارض والنظام والرموز وكل ماهو مشترك ، كما أن الذاكرة التاريخية تبدو حاسمة في تحديد هذا البُعد التاريخي إذ أن الذاكرة التاريخية هي الخبرات المتراكمة للامة التي تحدد مساراتها في الحاضر وتوجه سلوكها في المستقبل [١].

ولعبت المؤثرات الكثيرة التي تحكم طبيعة المجتمع العراقي وتنوعها بين الدين والطائفة والقومية ، اثر في تكوين الهوية الوطنية للمجموعات الدينية والعرقية والطائفية في العراق ، مما يصعب ايجاد صيغة نظرية اجتماعية متكاملة بأمكانها تفسير طبيعة الهوية الوطنية العراقية، لاسيما، بعد ما بدأت الهويات الدينية والطائفية والعرقية في العراق تتداخل وتتقاطع ، وخاصة أن العلاقة التي حكمت الشيعة والسنة والكرد ، بوصفهم ابرز المكونات العراقية ، اتسمت بصراع تقليدي بين الشيعة والسنة من جهة ، والعرب والاكراد من جهة أخرى ، فضلاً عن صراع اجتماعي اخر حكمته طبيعة الجماعات العشائرية ونظيرتها في المدينة ، وكل تلك الصراعات شكلت طبيعة سلوك تلك المكونات تجاه النظام السياسي والسلطة الحاكمة ، فالمجتمع بكل طوائفهِ وقومياته ظل مجتمعاً متصالحاً ، الامر الذي اثار حفيظة هذه السلطة أو تلك فأرادت ان تفسد هذا التصالح من خلال تدخلها المشين في اثارة النعرات الطائفية والقومية ، لانها تدرك ان ذلك هو السبيل الوحيد لبقائها اطول مدة في الحكم ، الامر الذي كشف لهذه المكونات المجتمعية مدى شعورهم بالانتماء والهوية الوطنية .[٢]

ولغرض توضيح مفهوم الهوية الوطنية من وجهة نظر مفكرين عراقيين درسوا طبيعة المجتمع العراقي بشكل مفصل مثل **عبد الفتاح ابراهيم** [٣]، حيث أن الهوية الوطنية من وجهة نظره هي وعي الافراد وشعورهم بالحرية والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، في ظل نظام سياسي ديمقراطي يعمل على تحريرهم من وطأة الفقر ، والمشاركة السياسية هي شعور المواطنين بأنهم اصحاب قرار في ادارة نظامهم السياسي واهمية هذا الامر في تعزيز الهوية الوطنية لدى

الافراد ، والوطنية كما أعتقد عبد الفتاح ابراهيم تتحقق من خلال ما أسماه بمبدأ "الشعبية" وهو مفهوم يقترب من مفهوم الاشتراكية الذي نفهمه اليوم إلا أنه تحاشاها خشية تصنيف نهضته الاصلاحية في خانة الشيوعية ، كما اشار أن الهوية الوطنية هي في حقيقتها سلوك يقوم به الافراد عن وعي وعلى اساس عقلاني ، وهذا لايتوفر لدى المجتمع الا من خلال التعليم .[٤]

ولغرض اتمام الفكرة الاساسية في فهم طبيعة الهوية الوطنية العراقية نذكر نظرية عالم الاجتماع العراقي **الدكتور علي الوردي** عن طبيعة المجمع العراقي وخصائصه التي تشكل هوية العراقيين ، لقد اقر الوردي أن المجتمع العراقي منقسم الى قوميتين رئيسيتين متمايزتين ، العربية والكردية ، ومذهبين متصارعين ومندمجين في أن واحد ، شيعي وسني ، وعشائر و قبائل ومحلات تتصارع في ما بينها ومع الدولة التي لم يفت الوردي ايلاء الكثير من الاهتمام بها وطريقة تشكيلها الذي ينبغي ان يكون متناسباً مع مكونات المجتمع العراقي ، إذ يشكل ذلك عنصراً مهماً من عناصر الهوية الوطنية للعراقيين ، وأقر الوردي كذلك بأن العراقيين منقسمون على أنفسهم ، وارجع ذلك لعوامل داخلية تقع في تركيبة المجتمع العراقي نفسه ، وخارجية تمثلت في الصراع العثماني الايراني على ارض العراق والذي دام لقرون ولم ينته هذا الصراع الا بتدخل خارجي اخر تمثل ببريطانيا ، إذ أحدث كل نمط من انماط التدخل الخارجي وتفاعله مع العناصر العراقية الداخلية ، عوامل اخرى للوفاق أو الاختلاف ومن ثم مزيداً من التعقيد في الهوية العراقية الوطنية ، أن الوردي يدعو الى تعايش ايجابي بين مكونات هذا المجتمع من خلال نظام ديمقراطي ليبرالي يعتمد التمثيل النسبي لفئاته ، ويمكن ان يشكل هذا الرأي المعادلة المحتملة لبناء هوية وطنية عراقية جديدة [٥].

العهد الجمهوري الاول وبناء هوية عراقية:

بحلول عام ١٩٥٨ كانت مشاعر العراقيين متفجرة تجاه النظام الملكي فقد زادت الفجوة بين الاغنياء والفقراء بسبب الازمة الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩– ١٩٥٨) ثم زيادة العائدات النفطية الكبيرة خلال الخمسينات ، فضلاً عن الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتردية مثلت بمجملها العوامل التي ساعدت على نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

وكان للعامل الخارجي ايضاً دوره المؤثر في هذا الصدد ، إذ ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر والأنقلابات العسكرية المتعددة سوريا منذ عام ١٩٤٩، ساهمت بشكل أو آخر في خلق وعي متزايد بإمكانية ان تتولى الجيوش قيادة بلدانها نحو التخلص مما كانت تدعيه ب((**الحكم الملكي الرجعي**)) ، كما ان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وتأسيس الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا في شباط ١٩٥٨، جعل النظام الملكي في موقف لا يحسد عليه ،فقد كان عليه تبرير بقائه في حلف بغداد عام ١٩٥٥ ، فضلاً عن أن أخر حكومة في العهد الملكي برئاسة نوري

السعيد كان عليها التعامل مع موجات وطنية صافية ملأت شوارع بغداد ، التي اعتمدت عليها الأحزاب الوطنية و((**الضباط الاحرار**)) الذين نفذوا ثورة ١٤تموز ١٩٥٨.[٦]

لقد شكلت حكومة ١٩٥٨ مجلساً للسيادة تولى مهام رئاسة الجمهورية من ثلاثة أشخاص فيما كانت الحكومة ممثلة بجميع الأطياف العراقية ، وقد أوكل عبد الكريم قاسم مهام العسكر والوزارات الأمنية الى عدد من الضباط المشاركين في الثورة ، فيما عين على رأس الوزارات المدنية الباقية عدد من الشخصيات ذوي خلفيات سياسية متنوعة ، وهذا ما شكل بدايات الخلاف مع الضباط الذين توقعوا أدواراً اكثر ريادة على رأس الدولة .[٧]

أن النظام الجمهوري الجديد كان منذ اللحظة الاولى على قناعة بأن الدولة وحدها من تمثل المصلحة العامة وهي التي عليها أن تنفذ تلك المصلحة ، ومن ثم شهدت مدة حكم عبد الكريم قاسم (١٩٥٨–١٩٦٣) تدخلاً متزايداً من قبل السلطة في شؤون النقابات والمنظمات والجمعيات المختلفة ، وكان هذا الموقف اضافة الى شعارات رجال الثورة المتعلقة بالأصلاح الاقتصادي والزراعي وهو ما شجع الشيوعيين على أن يكونوا الى جانب عبد الكريم قاسم [٨]، وكان هذا الحزب الاكثر تنظيماً وأنتشاراً بين الناس في مختلف مناطق البلاد ، ونتيجة لالتقاء المصالح بين قاسم والحزب الشيوعي أن اصبح الحزب اكثر حرية في دعواته لحرية المرآة ومساواتها مع الرجل ، وفي ضوء ذلك أقرت الحكومة قانوناً جريئاً للاحوال المدنية قياساً بالواقع الاجتماعي للعراق في تلك الفترة .[٩]

وفي الواقع أن الأصلاحات الرئيسية التي قام بها النظام الجديد ركزت على قانون الاصلاح الزراعي وهو قانون استهدف مصادرة أراضي كبار الملاك الذين يقل عددهم عن (٣٠٠٠ شخص) ومع ذلك يملكون اكثر من نصف أراضي البلاد ، إذ أن الاجراءات التي اتخذتها الحكومة ومنها تعويض الملاكين ، وتخييرهم بين الأراضي التي يريدونها ، والسقف الاعلى للسماح بأمتلاك الأراضي الذي بدأ مرتفعاً نسبياً ، كل ذلك جعل من القانون الصادر عام ١٩٥٨ أن لا يُنفذ إلا على نحو ٢٥% من الأملاك الكبرى ، في حين ، تم توزيع أقل من ذلك بكثير على صغار الفلاحين بحلول عام ١٩٦٣.[١٠]

ويمكن القول إجمالاً ان الجمهورية الأولى شهدت (في عهد عبد الكريم قاسم) إعادة توجيه العائدات النفطية لتشمل قطاعاً واسعاً من الفقراء الضواحي والأرياف ، وقد ارتفع عدد الطلبة خلال عهده أكثر من ثلاثة أضعاف ، فيما أرتفعت بشكل كبير أيضاً عملية بناء المستشفيات ومشاريع الأسكان وغيرها ، لكن سياسة ((**العراق أولاً**)) التي اتبعها عبد الكريم قاسم واجهت صعوبات حقيقية على الصعيد الخارجي ، أذ أن تأسيس ((**الجمهورية العربية المتحدة**)) كان اختباراً حقيقياً كشف عن نوايا السلطة الحاكمة تجاه هوية البلاد ، فكان عبد السلام عارف، نائب عبد الكريم قاسم

متحمساً للأنضمام الى الجمهورية ، في حين ، كان عبد الكريم قاسم والشيوعيين والشيعة واكراد بعض الأحزاب يميلون الى هوية عراقية اكثر خصوصية تهتم بالأصلاح الداخلي بدلاً من السياسة الخارجية ، وعلى الرغم من حرص عبد الكريم قاسم على الهوية العراقية ، الا انه ابقى تلك الهوية في غموض مؤسساتي من اجل احكام السيطرة على مفاصل الدولة المختلفة ، فمثلاً اقرّ دستور ١٩٥٨ بالطابع الثنائي القومية للدولة ، مانحاً الكرد إمتيازاً دستورياً لم يسبق لهُ مثيل ، الا أن عبد الكريم قاسم لم يترجم هذا النص الدستوري الى واقع مؤسساتي يشارك فيه الكرد بالفعل .[١١]

الهوية الوطنية في خطب عبد الكريم قاسم:

كان عبد الكريم قاسم من الناحية الموضوعية نتاج البيئة العراقية عامة والبغدادية على وجه الخصوص ، المتشبع بقيمها الأجتماعية والنفسية ، بسلبياتها وإيجابياتها ، والتطور الذي يشهده الواقع المجتمعي وخاصة بعد تكوين الدولة العراقية وبروز الحركات الاجتماعية وبداية تكوين الفئات الوسطى وصعود العسكر للسلطة ، لقد تأثرت اللغة السياسية في العراق بتيارات واتجاهات كثيرة من ليبرالية ويسارية واخرى ذات نكهة تحررية للوطن والانسان وقد تأثر بهذه اللغة ومضامين مفرداتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ، فئات اجتماعية واسعة لم تقتصر على الطبقات الوسطى بكل فئاتها ، بل ضمت حتى من أبناء بعض العوائل الارستقراطية القديمة ونخب الحكم ، كذلك ابناء الطبقات الاجتماعية الفقيرة والكادحة ،لقد مثلت هذه اللغة الجديدة و مضامينها ، محوراً نضالياً لحراكها الاجتماعي وصراعها الطبقي ، وقد تأثر زعماء المرحلة الجمهورية وبالأخص الأولى كثيراً بمضامين هذه اللغة ، ومنهم عبد الكريم قاسم .

أن التحرر الوطني لم يكن كافياً كشعار لتحقيق العدل بين ابناء الوطن الواحد ، فكان العراق بحاجة الى ثورة اجتماعية جذرية ، تؤمن بالعدالة الأجتماعية وتحقيق فرص متساوية لتأمين معيشة الأفراد ، فلابد من القضاء على الإقطاع ، و أزالة التخلف ، و أنشاء مجتمع حر يقوم على أسس ديمقراطية ، ومن هنا أنبثقت مبادئ ثورة ١٤تموز هذه المبادئ لم تصاغ من عدد قليل من ضباط الجيش ، أن هذه الأهداف هي أهداف الشعب العراقي أما الضباط فكانوا العامل المساعد لتحقيق هذه الأمنية للشعب ليعيش بكرامة وعزة .[١٢]

و بالمقابل ، كان من حق الشعب ان يلجأ الى الثورة لتغيير الحكم الذي عجزت محاولات القوى السياسية عن تعديل مساره بالطرق الديمقراطية السليمة ، فالثورة التي تستهدف قلع النظام السياسي من الجذور لاتحتاج الى مبادئ قانونية لكي تكسب الشرعية ، لان شرعيتها مستمدة من حقوق الشعب الطبيعية ، لانها أستهدفت القضاء على نظام سياسي كان مصطنعاً في الأساس ، لذا أيد اغلب الشعب العراقي بالأجماع ثورة ١٤تموز وخاصة الطبقات المسحوقة أي العمال والفلاحين والموظفين من ذوي الرواتب المحدودة والمثقفين الذين سلبوا حرية الرآي، فجائت الثورة لنصرتهم

وأنتشالهم من الجوع والفقر والمرض والأضطهاد الفكري والسياسي، لذا تعلقوا بالثورة من أول يوم وأيدوا قائدها عبد الكريم قاسم الذي بدأ لهم واحداً منهم ، ظهر من بين صفوفهم ،يتحلى بشخصية جذابة محببة فلم يحسوا في كلامه أثر للغش ولا خداع ولا مبالغة ، فهو يكرر لهم بصدق وإيمان أن الثورة ثورتهم ومن صنعهم وما كان هو الا منفذ لأرادتهم .[١٣]

أندفعت حكومة ١٤تموز بأرادة حاسمة وعزيمة قوية يغذيها حماس الجماهير المتأجج، تحققت الأنجازات والوعود الواحدة تلو الأخرى ، فأصدرت دستور الجمهورية المؤقت أذ أعُلن رسمياً في ٢٧ تموز ١٩٥٨، وقد تضمن مبادئ أقرت معظمها لأول مرة في تأريخ العراق الحديث والتي نصت على أن الشعب هو مصدر السلطات وأن القوات المسلحة هي ملك الشعب العراقي ومنه ومهمتها حماية سيادة البلاد ، وسلامة أراضيها ، وأعلن بأن العراق جزء من الامة العربية وهو مبدأ كان الشعب بأسره يتطلع الى النص عليه في صلب الدستور، واعتبر العرب والأكراد شركاء في الوطن ، فأزال بذلك عقدة نفسية كانت مصدراً لسوء الظن والأضطرابات السياسية بين القوميتين ، فعزز بذلك مفهوم الوحدة الوطنية ودعمها ، وثبتت أحدى مواده حرية الرأي والتعبير ومواد اخرى ساوت بين المواطنين أمام القانون بالحقوق والواجبات .[١٤]

كانت أفكار عبد الكريم قاسم تعبر عن أن الهدف النبيل يتطلب وسائل نبيلة وليس المبدأ المعروف (**الغاية تبرر الوسيلة**) ، أي أن أفكاره كانت مثالية ، وكانت بمثابة الروح لحركته الأجتماعية التي وفرت لهُ بدورها جملة من الدوافع السلوكية والنفسية ورسمت لهُ إيقاع حركته العامة وحيز تحركه وكان من هذه القيم الأستقلال السياسي ، النظام الجمهوري ، العدالة الأجتماعية والمساواة النسبية ، الرقي الحضاري والحداثة ، أجتثاث الفقر ، الوحدة العراقية وهويتها ، الأنتماء الى الأمة العربية ، أنصاف المرأة ، نصرة الضعيف ، العفو والتسامح وغيرها.

كما أكد على قيم لم يألفها مجتمعنا العشائري من قبل (**عفا الله عما سلف**) والتي كررها في اكثر من كلمة وخطاب ، وهو منهج بقدر ما هو أخلاقي فأنه ذو جذور أنسانية عميقة ، كما كان من اهم ميزات عبد الكريم قاسم هو تكراره المستمر وبأعلى صوته السياسي المقولة المشهورة **(الجيش فوق الميول والاتجاهات)** ، هدف من ذلك الحفاظ على فعل التغيير (**الثورة**) وهوية المؤسسة العسكرية وتحديد مهمتها المركزية ، كما أنه لم يعتمد على الولاءات الطائفية والمناطقية ورابطة الدم ، وأنطلق من أولوية عراقيته دون التخندق فيها ، وأمن بأن خدمة الشعب غاية مقدسة [١٥].

عند أستلام عبد الكريم قاسم القيادة الرسمية للسلطة في العراق بعد نجاح ثورة الجيش في ١٤تموز١٩٥٨ ، سعى الى القاء خطاب سياسي يؤثر بقوة في نفوس الشعب والطبقات المختلفة

المكونة للمجتمع العراقي ، وقد استمد الخطاب السياسي الملهم للنفوس من الواقع الأجتماعي الذي كان يعيش فيه العراق من فقر وجهل وتخلف ، الامر الذي كان حافزاً لعبد الكريم قاسم لغرض أدامة الزخم الداعم للثورة ومحاولة التذكير الدائم بالماضي و الواقع الذي كان يعيشه الشعب وطبقاته المسحوقة ، ومدى تفاني الجيش في الثورة لخدمة الشعب وتحقيق منجزات سريعة ، لتعويض واقع النقص الذي كان يعانيه الشعب .

فعبد الكريم قاسم لم يترك مناسبة أو احتفالية أو مؤتمر الا وألقى فيها خطاب في أغلب الوقت كان مُرتجلاً حسب المناسبة ، فمثلا عند وضع حجر الاساس لأي مشروع مهما كان بسيط كبناء مدرسة أو معمل وغيرها ، وكان دائم التبرير لقيام الجيش بثورته بقوله **((ما كان يودنا نحن الذين نملك القوة ، قوة الجيش ، أن نتدخل في أمر البلاد قبل ١٤تموز١٩٥٨ لو لم نرى بوادر الظلم وجيوش الطغيان تسحق كل مخلص في هذا البلد وقد سحقت القوى الوطنية ، وقد سحقت المخلصون والعاملون في سبيل الشعب وفي سبيل الوطن ، وعليه ما أن وجدنا بأن القوى المخلصة في البلاد قد تشتت الا ورأينا أن الواجب ، واجب الوطن يدعونا للتدخل فتدخلنا فعلاً وأنبثقت جمهوريتنا هذه الجمهورية الحرة الخالدة في التأريخ))**.[١٦]

وفي تعزيز الهوية العربية للعراق أولاً والوحدة العراقية وأصالتها ثانياً فأن عبد الكريم قاسم لم يتوان عن تكرار تأكيده على أنتماء العراق الى الأمة العربية وطبيعة القوميات التي توجد في العراق من عرب وأكراد حيث يقول **((أن هذا البلد يتكون من عدة قوميات والقومية الكبرى هي القومية العربية ، والشعب العربي يؤلف خمسة وسبعين بالمائة وثلاثة أرباع السكان واكثرهم من العرب الاقحاح ويليهم بالنسبة أخواننا الأكراد وثم التركمان والأقليات الأخرى المتآخية المتحابة في هذا البلد ، لقد أخذ الأستعمار يتجه لتحطيم هذه الجمهورية ولتحطيم الوحدة العراقية الصادقة))**.[١٧]

وفي نفس الأطار أكد عبد الكريم قاسم كثيراً على الهوية العراقية المميزة بين الدول العربية فيقول **((العراق هو بحق مربض العروبة ومهبط الوحي العربي في داخل العراق و هو أبو الثورات الوطنية وأبو الحضارات الوطنية))**.[١٨]

و من الجدير بالذكر ، ان عبد الكريم قاسم كان في كافة خطبه يؤكد على الوحدة الوطنية ولم يذكر بالنص الهوية الوطنية العراقية بشكل محدد، أنما يمكن القول انه كان يستبدلها بالوحدة العراقية وكيف أن الوحدة العراقية هي الهوية الأساس التي يتميز بها العراق من خلال تأخي قومياته وطوائفه التي تعيش على أراضيه وذكر ذلك في أكثر من مناسبة ، حيث يقول **((أننا سنفنى في سبيل الوحدة العراقية الصادقة ، الوحدة الوطنية الصادقة التي تعتمد على الأخلاص وتعتمد على المحبة وتعتمد على الأخوة ، وأن هذه الوحدة العراقية الصادقة هي التي تكون أساساً ومستنداً وسنداً الى مساعدة أخواننا الدول العربية خارج العراق))**.[١٩]

كما قال((**أن الوحدة العراقية الكاملة الصادقة قد ضمناها وأن الشعب العراقي قد أصبح كتلة واحدة قوية متراصة يتمتع بالقوة والعزم والإيمان في سبيل الدفاع عن كيان هذه الأمة وفي سبيل الدفاع عن كيان الجمهورية الخالدة وفي سبيل الدفاع عن كيان الأمة العربية**)).[٢٠]

وأستمر تأكيد عبد الكريم قاسم على أهمية الوحدة الوطنية في تحقيق مصلحة العراق ومواطنيه وربما جعلها مرادفة للهوية الوطنية وسبل حمايتها من قبل الشعب وقادة الثورة وضرورة توحيد جهود المواطنين لتحقيق وحدة وطنية قادرة على مواجهة التحديات الخارجية وتأكيده على طبيعة المجتمع العراقي وقومياته المختلفة التي تشكل وحدة العراق ، عندما قال ما نصهُ : ((**لقد أعتدى الظالمون ، وأذناب الأستعمار ، بأمر من اسيادهم ، فنكل البعض بالبعض الأخر، وأوجدوا مجالاً وسبلاً للتفرقة ، فيما بين الشعب الواحد ، لقد أنطلق صوت أخواننا الكرد ، وأنطلق صوت أخوانهم العرب الأقحاح ، أن القوميات قد أنتصرت في جمهوريتنا وأنتصرت القوميات الأخرى ، وهذه القوميات متحابة متعاونة حرة ، تتعاون في ما بينها ، وتكون بمجموعها الشعب العراقي المظفر..... ، أن القوميات المتآخية في الجمهورية العراقية الخالدة تكون الشعب العراقي المظفر ، تكون بمجموعها الوحدة الوطنية الصادقة ، التي يرتكز عليها الأستقلال والسيادة الكاملة**)).[٢١]

وأستمر تأكيده على أهمية وحدة القوميات في العراق حيث يقول ((**أن العرب في العراق والأكراد والتركمان والقوميات الأخرى ، هذه القوميات المتآخية المتحابة ، تعلمون ماذا تكون، أنها تكون الشعب العراقي المظفر**)) [٢٢] ، كما ويعود ويؤكد على القوميات بقوله ((**أن القوميات المتآخية في هذا البلد في الشمال والجنوب وفي الشرق والغرب ، من اخواننا العرب والأكراد والتركمان والقوميات الأخرى ، كلها سوف تساند بهذا المجهود ، كلها سوف تساند بمجهود الحرية التي تنيرها هذه البلاد الى البلاد المجاورة ، اننا الشعب العراقي المظفر سوف نرفع ، بل نقل اننا قد رفعنا مشعل الحرية الى العالم .... ، انهم يؤازرون بعضهم بعضاً ويتفانى الواحد منهم من اجل الأخر ومن أجل مصلحة الأخرين ، لقد أندثرت المطامع الذاتية والمطامع الفردية اننا نشتغل في هذا اليوم لمجموع الشعب ، اننا نشتغل اليوم للجمهورية العراقية الخالدة**)).[٢٣]

وتحدث عبد الكريم قاسم كثيراً حول ضرورة حماية الجمهورية الناشئة من قبل أبناء الشعب لأنها الضمانة الوحيدة لبناء العراق الجديد فقال ((**أني مازلت وسأظل أنادي وأوكد بأن المخلصين والعاملين في سبيل هذا الوطن وفي سبيل الله وللمصلحة العامة عليهم أن يؤكدوا بعدم تفرقة الصفوف ، بعدم تفرقة صفوف الشعب ، فأن الشعب يخدم بعضه بعضاً .... ، فأننا قد جئنا في ثورة تحررية و أنطلاقة لا تتوقف الا بسيادة البلاد واستقلالها وحريتها وعدم التدخل في شؤونها مطلقاً**)) ، كما أضاف ((**لقد صممنا على أنبثاق هذه الجمهورية ، وقد أنبثقت والحمدلله**

وأصبحت قوة خارقة لايمكن التصدي الى كيان شعبها وكيان وطنها ، اننا عانينا من الماضي كثيراً وقد تغلبنا على القوى الظالمة الغاشمة التي أعتدت على أبنا الشعب وشردت كل عامل مخلص وكل وطني ينادي بالأنطلاق والتحرر وينادي بسلامة اهل البلاد وسلامة البلاد ، اما في هذا اليوم والحمدلله ، فأن أبناء العراق أجتمعوا في وطنهم وهم أحرار ينعمون بالحرية والرفاه ولكل رأيه ، فكل الأراء وكل الأتجاهات وكل الميول تلتقي بهدف واحد هو خدمة هذا الوطن)).[٢٤]

كان عبد الكريم قاسم في كل خطبه وأحاديثة وبالأخص عند لقائه مع الجيش وأفراده فأنه يحثهم على حماية الجمهورية وأبناء الشعب بكل طوائفه وقومياته ويؤكد دائماً أهمية الجيش ودوره بقوله ((**أن الجيش فوق الميول وفوق الأتجاهات وفوق الأحزاب ، و أن الجيش مع مجموع الشعب ، و أن الجيش في خدمة الوطن دوماً ، فهذه هي رسالتنا ، هذه هي رسالة الجيش النبيلة الشريفة التي حققها في الماضي ، عندما أنتفض على الظلم والأستعباد ، وعندما حطم الدمار بمساعدة أخوانه أبناء الشعب ، وهذه الرسالة سوف تبقى خالدة ، فالجيش دوماً يدافع عن أبناء الشعب ، وأننا فوق الميول والأتجاهات وفوق الأحزاب ، وأننا ننتسب الى تربة هذا الوطن ، وأننا كلنا نفنى في سبيله))**.[٢٥]

مما سبق يبدو واضحاً ، أن عبد الكريم قاسم لم يذكر صراحة كلمة الهوية الوطنية أنما يمكن أن نكتشفها من تأكيده المستمر على الوحدة الوطنية العراقية وتوحيد الصفوف والقوميات المتآخية في أطار العراق الواحد ، والتفاخر الدائم بالجمهورية التي أقامها الثوار وكونها جمهورية قوية وواحدة وموحدة في جميع الميادين ، وكان عبد الكريم قاسم دائم التأكيد على ((**أننا يجب أن نؤلف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة ومعنى الجمهورية الشعبية ، هي الجمهورية التي تتحمس وتعمل بوحي الشعب ،وتعمل من أجل الشعب وتعمل ضد الأستعمار وضد الطامعين والمتعسفين وتقيم العدالة الأجتماعية وتقيم أسس العمل والحق والنظام في بلادنا ، ومعنى تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة هو التمسك بالوحدة الوطنية الصادقة عرباً وأكراداً وتركماناً وأقليات أخرى متآخية متحابة في وطننا))**.[٢٦]

كما أن عبد الكريم قاسم لم يدخر مناسبة الأ وأكد فيها أنه فوق الميول والأتجاهات وحتى في مقابلاته الصحيفة أذ يقول ((**أنني شخصياً فوق الميول والأتجاهات وعلينا أن نجعلهم جميعاً صالحين لخدمة الجمهورية العراقية خاصة))** وأكد أن سبب الدعاية المغرضة ضد الثورة هو ((**لاننا دولة ذات سيادة مطلقة وبهذا سنحمي بلدنا ونحمي القومية العربية وأن الجمهورية العراقية هي موطن القومية العربية واننا حماتها))**.[٢٧]

وهكذا كان قاسم عراقياً في أنتماءه رغم أنه لم يتخندق فيها واقعياً في نمط تفكيره أستمد أهدافه من خلال تلمسه للضرورة الأجتماعية وقد عبر عنها بصورة نسبية وحقق ما أمكن من تحقيقه فأمتلك العراق بثورة تموز مسار تطوره الواقعي في الجمهورية الأولى .

الخاتمة:

نخلص من البحث الى نتائج مهمة ، فأن الهوية الوطنية كمفهوم مستقل لم تكن متداولة آنذاك، بل كانت تعني كلمات بديلة مثل وحدة وطنية أو جمهورية واحدة أو كيان عراقي أي تأكيد على مسميات تعطي دلالة على الهوية الوطنية ، وإنما كانت هذه الكلمات تشير الى ذلك فأن عبد الكريم قاسم أكثر من كرر هذه الكلمات وأكد اهميتها في خطب وأحاديث لا تعد ولا تحصى في كل مناسبة وكل حدث وكل احتفال بمؤتمر أو وضع حجر أساس أو افتتاح مشروع أو تخرج طلبة ، وغيرها كثيرة. وطبع عبد الكريم قاسم سياسة حكومة الثورة بطابعه الخاص ، وبالقيم والمبادئ التي كان يؤمن بها ويسعى الى تحقيقها ، فكانت مبادئه السياسية واضحة اساسية اعتنقها و أستخلصها من حاجة الناس ومعاناتهم ، وقد كانت تلك المبادئ تدور على ألسنة الكتل والاحزاب السياسية والافراد والشخصيات الواعية ، يرددونها في مجالسهم ويتحدثون بها في كل مناسبة متاحة للتعبير عن آرائهم، ولم تكن هذه المبادئ تستند بالضرورة ، الى فلسفة سياسية أو افكار استوعبتها النشرات والكتب السياسية ، بل جسدها الواقع وتطلعات الجماهير لتحقيقها. لقد وضع عبد الكريم قاسم أمامه فور قيام الثورة ترسيخ وترصين وتقوية الوحدة الوطنية والقضاء على مخلفات المشاعر الطائفية والدينية والمذهبية ، فالشعب العراقي يتألف من اقليات قومية ودينية ومذهبية متعددة تركت العهود السابقة المتخلفة أثار سلبية على علاقاتها بالأغلبية من السكان، وكان عبد الكريم قاسم يعتقد أن تقوية اسس الوحدة الوطنية أمر ضروري لنجاح الجهود لبناء دولة العراق الحديثة .

الهوامش والمصادر :

١–علي طاهر الحمود ،العراق من صدمة الهوية الى صحوة الهويات ، سلسلة دراسات اجتماعية ، مؤسسة مسارات ، بغداد ،٢٠١٢ ،ص ٣٦ .

٢–المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

٣–ولد عبد الفتاح ابراهيم عام ١٩٠٧ في مدينة الناصرية ، عاش حياته العملية والسياسية في خضم أحداث جسيمة قضتها البلاد ، واكمل دراسته في بيروت عام ١٩٢٤ في الجامعة الامريكية هناك في التاريخ والعلوم الاجتماعية ، اسس عام ١٩٣٢ جماعة الاهالي في بغداد ، وأصدر جريدة بنفس الاسم بهدف نشر الوعي والروح الوطنية وأسس العديد من التجمعات منها (جمعية السعي لمكافحة الامية)،و(نادي بغداد) ،كما الف العديد من الكتب والكراريس والمقالات تؤشر الى توجهاته الفكرية والوطنية ، توفي في أب ٢٠٠٣ ،للمزيد ينظر :شهاب احمد الحميد ، المفكر العراقي عبد الفتاح ابراهيم (السيرة الشخصية)،ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٥.

٤–مظفر عبدالله الامين ، جماعة الاهالي ، منشؤهاوعقيدتها ودورها في السياسة العراقية ، ط١ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،٢٠٠١ ، ص ٨٢.

٥–علي الوردي ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، دار ومكتبة دجلة والفرات ، بيروت،٢٠٠٩، ص ص ٣٨١– ٣٨٥ .

٦–ليث عبد الحسن الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، منشورات اليقظة العربية، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨١، ص ص ٣٧– ٥٥ .

٧–عبد الوهاب حميد رشيد ، العراق المعاصر ، دار المدى ، دمشق ،٢٠٠٢ ، ص١٣٨.

٨–حنا بطاطو ، العراق (الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار)، الكتاب الثالث ،ترجمة عفيف الرزاز ، منشورات فرصاد ، طهران ،٢٠٠٦ ،ص ص ١٣٩– ١٤٧ .

٩–عبد الوهاب حميد رشيد ، المصدر السابق ، ص ١٥١.

١٠–جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤–١٩٦٨، ط١، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٥، ص ٢٧٥– ٢٧٧.

١١– علي طاهر الحمود ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٣ – ١٥٨ .

١٢–صبيح علي غالب ، قصة ثورة ١٤تموز١٩٥٨ والضباط الاحرار ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط١ ، بيروت ،١٩٦٨ ، ص ٤١ .

١٣–اسماعيل عارف ، اسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق ، دار الحياة ،القاهرة ،٢٠١٢ ، ص ص ١٩٧ – ٢١٢ .

١٤–المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

١٥–الجمهورية العراقية ، مبادئ ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار الزعيم عبد الكريم قاسم لعام ١٩٥٩ ، مطبعة الحكومة ، ج ٢ ، بغداد ، ١٩٦٠ .

١٦–المصدر نفسه ، ص ٨ ، خطاب عبد الكريم قاسم في حفلة تخرج الكلية العسكرية في ١٤تموز ١٩٥٩ .

١٧–المصدر نفسه ، ص ٩١ ، بمناسبة استقبال الوفد الرياضي اللبناني لتهنئة الزعيم بالسلامة في ١٩٥٩/١١/٢٦ .

١٨–المصدر نفسه ، ص ٩٥ ، نفس المناسبة .

١٩–المصدر نفسه ، ص ١٠٨ ، عند استقبال عبد الكريم قاسم لوفد من علماء النجف في ١٩٥٩/١١/٢٩ .

٢٠–المصدر نفسه ، ص ١٤٦ ، في حفلة اللواء الخامس والعشرون في بهو الامانة بمناسبة نجاة سيادة القائد من محاولة الاغتيال في ١٩٥٩/١٢/٢٨ .

٢١–الجمهورية العراقية ، مبادئ ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار الزعيم عبد الكريم قاسم لعام ١٩٦٠ ، مطبعة الحكومة ، بغداد ،١٩٦١ ، ص ٢٠ ،في خطاب القاه الزعيم في دار الضباط بذكرى عيد الجيش في ١٩٦٠/١/٧ .

٢٢–المصدر نفسه، ص ٥٣ ، في حفلة محكمة الشعب بيوم الابتهاج بعد محاولة الاغتيال في ١٩٦٠/٢/٥ .

٢٣–المصدر السابق ،ص ٥٧– ٦١ ، في المؤتمر الاول للاتحاد العام لنقابات العمال في ١٩٦٠/٢/٩ .

٢٤–المصدر نفسه ، ص ٧١–٧٩ ، في المؤتمر الثاني لنقابة المعلمين في ١٩٦٠/٢/٢٣ .

٢٥– المصدر نفسه ، ص ١٢٤ ، في خطاب سيادة الزعيم في موقع بغداد بمناسبة عيد الفطر في ١٩٦٠/٣/٢٨ .

٢٦– الجمهورية العراقية ، مبادئ ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار الزعيم عبد الكريم قاسم لعام ١٩٦١، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ١٤٦ ، في خطاب عبد الكريم قاسم في جمعية المحاربين القدماء في ١٩٦١/٣/٨.

٢٧– الجمهورية العراقية ، مقابلة صحفية في يوم ١٣/ايار ١٩٥٩ في وزارة الدفاع مع المستر كرانجيا (رئيس تحرير مجلة بلنز الهندية) ،ص ١١.

Margins and Sources:

1. Ali Taher al-Hmoud, Iraq from the identity shock to the awakening of identities, a series of social studies, Pathways Foundation, Baghdad, 2012, p. 36.
2. Ibid., p. 56.
3. Born in 1907 in the city of Nasiriyah, Abdel Fattah Ibrahim lived his practical and political life in the midst of serious events that the country had spent, and he completed his studies in Beirut in 1924 at the American University there in history and social sciences, founded in 1932 the community of people in Baghdad, and issued a newspaper with the same name with the aim of publishing Awareness and the national spirit and the foundations of many gatherings of them (the Association for the fight against illiteracy), and (the Club of Baghdad), as a thousand many books, pamphlets and articles mark his intellectual and national orientations, died in August 2003, for more seen: Shehab Ahmed Hamid, Iraqi thinker Abdel Fattah Ibrahim (biography Personal), I 1, Baghdad, 2005.
4. Muzaffar Abdallah al-Amin, community of parents, his organization and its role in Iraqi politics, I 1, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2001, p. 82.
5. Ali al-Wardy, study in the nature of Iraqi society, Tigris and Euphrates Library, Beirut, 2009, pp. 381-385.
6. Laith Abdul-Hasan al-Zubaidi, Revolution 14 July 1958 in Iraq, Arab vigilance publications, II, Baghdad, 1981, p. 37-55.
7. Abdulwahab Hameed Rashid, contemporary Iraq, Dar al-Mada, Damascus, 2002, p. 138.
8. Hanna Yam, Iraq (communists, Baathists, free Officers), Book 3, Afif Razaz, Ferr Publications, Tehran, 2006, pp. 139-147.
9. Abdulwahab Hamid Rashid, former source, p. 151.
10. Jaafar Abbas Hamidi, History of contemporary Iraq 1914-1968, 1, Adnan House and Library, Baghdad, 2015, pp. 275-277.
11. Ali Taher al-Hmoud, former source, pp. 153 – 158.
12. Sabih Ali Ghaleb, the story of the Revolution of 14 July 1958 and the Free officers, Dar al-Tali'ah for printing and publishing, 1, Beirut, 1968, p. 41.
13. Ismail Aref, the Mysteries of the revolution of 14 July and the founding of the Republic in Iraq, Dar al-Hayat, Cairo, 2012, pp. 197 – 212.
14. Ibid., p. 214.
15. The Republic of Iraq, the principles of the 14 July revolution in the speeches of the son of the people, the President Abdul Karim Kassem of 1959, Government Press, C 2, Baghdad, 1960.

16. The same source, p. 8, speech of Abdelkarim Kassem at the military college graduation ceremony on 14 July 1959.
17. The same source, p. 91, on the occasion of the reception of the Lebanese sports delegation to congratulate the leader for safety in 26/11/1959.
18. Ibid., p. 95, same occasion.
19. Ibid., p. 108, when Abdelkarim Kassem received a delegation of Najaf scholars in 29/11/1959.
20. Ibid., p. 146, at the 25th Brigade concert in the Secretariat foyer on the occasion of the escape of the leader of the assassination attempt in 28/12/1959.
21. The Republic of Iraq, the principles of the 14 July revolution in the speeches of the son of the righteous, leader Abdul Karim Kassem of 1960, government Press, Baghdad, 1961, p. 20, in a speech Cairo the leader at the officers ' house for Army Day in 7/1/1960.
22. The same source, p. 53, at the People's Court concert on the day of rejoicing after the assassination attempt in 5/2/1960.
23. Previous source, p. 57-61, at the first Congress of the General Confederation of Trade Unions in 9/2/1960.
24. Ibid., pp. 71-79, at the second Congress of the Teachers ' union in 23/2/1960.
25. The same source, p. 124, in the address of al-Zaeem in Baghdad on the occasion of Eid al-Fitr in 28/3/1960.
26. The Republic of Iraq, the principles of the 14 July revolution in the speeches of the son of the righteous, leader Abdul Karim Kassem of 1961, government Press, Baghdad, 1962, p. 146, in the speech of Abdul Karim Kassem at the Veterans Association in 8/3/1961.
27. Republic of Iraq, press interview on 13 May 1959 at the Ministry of Defence with Mr. Kranjya (editor of the magazine Blanz of India), p. 11.